(١٥)

اللعب مع الأمريكان..
يحتاج إلى مواصفات خاصة
فهل الجنرال درسها جيدا؟

obeikandl.com

obeikandl.com

يسأل الحفيد الشاب جده: هل هناك وجه تشابه بين الرئيس بوتين وقد جاء من جهاز المخابرات..وبين الرئيس السيسى ولا يجد الجد إجابة أفضل من الرجوع إلى تصريحات «جوشوا ستاتشر» الخبير فى شئون مصر وأستاذ العلوم السياسية فى جامعة ولاية «كنت» وقد قال فيها إن السيسى لا يسعى إلى منصب رئاسى.. لكن السلطة سوف تأتى اليه عن طريق الشعب وقد ظهر بوتين عام ١٩٩٢م وهيمن على الساحة السياسية فى وقت قياسى وبدهاء وقوة.. والسيسى استمد قوته من الشعب الذى استمع إليه ونزل بالملايين إلى الشوارع يفوضه لكى يحارب الإرهاب ويمتلك زمام الأمور دون أن يضع أنفه فى شئون الحكم.. وقد ضرب الرجل فى أكثر من موضع المثل فى احترام القانون.. وبخصوص المخاوف من أن يسيطر الجيش على الحكم.. فهى مجرد أوهام.. لأن مصر استيقظت وتحول الشعب إلى فاعل أساسى فى المشهد بعد أن كان سلبيا مستسلما.

وكانت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية تراقب الوضع فى البلاد بعد ٣٠ يونيو وقالت إن هناك حركة شعبية متسارعة تتجه إلى ترشيح السيسى رئيسا وكان هذا تحديدا فى شهر سبتمبر ٢٠١٣م أى قبل ٧ أشهر من فتح باب الترشح رسميا كان الشعب يحتاج إلى نظام حاكم يوفر له الأمان والانضباط والحاكم ذو الخلفية العسكرية يحقق له ذلك.

قالت الصحيفة فى سياق تقرير نشرته على موقعها الإلكترونى، إنه بحسب مراقبين فإن هذا التطور يشير إلى «رغبة المصريين فى إرساء الاستقرار والنظام وسط الفوضى والعنف والاضطراب الاقتصادى الذى يكتنف مصر منذ أن أجبر المحتجون حسنى مبارك آخر حاكم للبلاد مدعوم من الجيش على التنحى فى عام ٢٠١١م».. أضافت الصحيفة أن مؤيدى «السيسى» أعلنوا أنهم يأملون بأن تجمع حملتهم «كمل جميلك» ٣٠ مليون توقيع لمطالبته بالترشح لمنصب الرئيس.

تابعت الصحيفة أن «السيسى» الذى أطاح بمحمد مرسى، فى ١٣ يوليو ٢٠١٣م، قال من خلال متحدث عسكرى إنه لا يريد الترشح وكذلك الجيش لا يؤيد ترشح أى لواء، حسب الصحيفة، مشيرة إلى أن الحكومة المؤقتة المدعومة من الجيش تقول إن الانتخابات ستجرى بحلول مطلع عام ٢٠١٤م.

نوهت الصحيفة إلى أن مؤيدى «السيسى» المتحمسين يقولون إنه لا توجد لديه سوى خيارات قليلة، حيث إنه فى حالة الفوضى التى تعانى منها السياسة فى مصر خلال

فـترة مـا بعد عزل مرسـى، تكون رغبة الشـعب، التى يعبر عنها من خـلال التوقيعات والاحتجاجات، عادة هى الفائز.

أضافت الصحيفة أن المراقبين يقولون إن نجاح هذه التوقيعات يمكن أن تجبر «السيسى» على ترشيح نفسه، ونقلت عن خالد العدوى، وهو كاتب صحفى وأحد مؤسسى حملة «كمل جميلك»، قوله «إن القرار لا يعود إلى السيسى أو الحكومة، بل إنه قرار الشعب، وتعد الرئاسة فى مصر تكليفا وليس منصبا شرفيا، لذلك إذا لم يشغل المنصب عندما يطلب منه الشعب ذلك فإنه يضع نفسه فى مواجهة مع الشعب»، لكن الصحيفة قالت إنه بالنسبة لكثير من النشطاء المؤيدين للديمقراطية والذين عملوا على الإطاحة بمرسـى تعيد شعبية «السيسى» للولاء الذى سمح لجمال عبد الناصر بممارسة الدكتاتورية التى اتسمت بانتهاكات كثيرة لحقوق الإنسان خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، حسب الصحيفة.

أضافت أنه خلال مطلع أيام قليلة اكتسب ترشيح «السيسى» تأييدا جديدا من مرشحين رئاسيين سابقين احتلوا مراكز متقدمة فى سباق الرئاسة ومنهم وزير الخارجية الأسبق عمرو موسـى، وحمدين صباحى، ورئيس الوزراء الأسبق أحمد شفيق، الذى احتل المركز الثانى ثانيا بعد مرسى فى انتخابات الرئاسة عام ٢٠١٢م.

واختتمت الصحيفة تقريرها قائلة: «سـواء قرر (السيسى) الترشح أو لا فإن الحماس له يؤكد ميل مصر المتجدد لسياسة الرجل القوي».

وردا على هذه التسـاؤلات شـطح الكاتب الدكتور إيمان يحيـى بخياله وتصور حوارا يـدور على أحد المقاهـى.. وكان المصريـون وقتها يتحدثـون عن الدسـتور والانتخابات الرئاسـية والبرلمانيـة وهـل الأفضل أن يسـتمر السيسـى وزيـرا للدفـاع؟.. أم يخوض الانتخابـات الرئاسـية وهل تقتنع الدوائر السياسـية العالمية بأن هـذا الرجل الذى يأتى من الجيش سـوف يحكم بمنطـق مدنى ديمقراطى.. وما هى مواصفـات الرئيس المنقذ فى بلـد يعانى من الانفـلات الأمنى والانهيـار الاقتصادى والفوضى مـن الداخل والخارج.. وقـد جـاء حوار إيمان مع العبـد لله للذى يمثل رأيه والصديق الـذى يمثل الرأى الاخر: العبد لله: مصر تحتاج إلى رئيس قوى قادر على الحفاظ على الدولة، رئيس قادر على أخذ القرار الصحيح فى الوقت المناسـب. أمامنا مرحلة انتقالية نبدأها من الصفر ثانيةً، مرحلة تتطلب الكثير من التغيرات لمواجهة تحديات خطيرة.

صديقـي: أتفق معك، ولكن أخشـى من أن يعيدنا الرئيس "القـوى" إلى خانة الدولة الاستبدادية من جديد!

العبد لله: وكأنك لا تعترف بقيام ثورتين فى أقل من ثلاث سـنوات! لن يقبل الشعب أى اسـتبداد تحت أى شـعار يا عزيزى! هناك بناء جديد يجب أن نشـيده للانتقال إلى مرحلة جديدة.. فى رأيى أن الفريق "السيسـى" هو الرجل المناسب لتلك المرحلة. أثبتت أحداث ثورة يونيو أنه رجل دولة.

حديث "المصداقية"!

صديقى: أوافقك على أن السيسـى له مميزات وقدرات أكثر مما لغيره، ولكن إذا جاء السيسى رئيسا فسيفقد مصداقيته. لقد قال ألف مرة إنه لن يحكم ولا يطمع فى الحكم!

العبـد لله: المصداقيـة لا تأتـى بتنفيذ عهود جاءت تحت ضغـوط أمريكية! مصداقية "السيسى" جاءت وستجىء من شجاعته وجرأة اتخاذ القرار بالانحياز للشعب أمام إرهاب الإخـوان..لا تنس يا صديقى أن "السيسـى" كان يعرف جيـدا ومقدما أن من واجه تلك الجماعة لن يسـلم من إرهابها..أرجوك.. تذكر أنه ما من سياسى واجه تلك الجماعة، إلا ونالته محاولة اغتيال! "السيسى" وضع روحه على كفه وأخذ قراره، بينما تخاذل آخرون من العسكريين والمدنيين..ولعلها لحظة تكشف عن معدن الرجل بامتياز.

صديقى: فى حالة ترشـح "السيسى"، سـتزداد الضغوط الغربية والأمريكية. نحن فى غنـى عن ذلك، ولا نحتاج فى هذا الوقت الصعـب إلى مواجهة مع أمريكا والغرب. نحن بحاجة إلى رجل يتصدر الواجهة، ويتقبله أقوياء الخارج!

الفرصة التاريخية

العبد لله: لا..لعلها فرصة تاريخية للبدء فى التخلص من التبعية للغرب، والسـير فـى ركاب الآخريـن..ألا تلاحظ الصحوة الوطنية الشـعبية، وبـروز اللهجة الوطنية لدى الشـعب منذ يونيو الماضى؟ لن ينقذ مصر من الطائفية والارهاب والتخلف سـوى استنهاض الوطنية المصرية من جديد. لو أصر الشعب المصرى على اختيار "السيسى"، لكان معنى ذلك اختياره لطريق الاستقلال الوطنى. الشعب سيرفض الضغوط الأمريكية ولـن يرضخ لها...ببسـاطة لأن معنى ذلك هو الرجوع إلى القفـص الأمريكى، والإقرار

بنهاية الثورة وفشلها. تذكر يا صديقى أن "السيسى" هو الشعار الملموس الذى رفعته الجماهير أمام الإخوان!

صديقى: ولكن لماذا الإصرار على "السيسى"..ألا يمكن للرجل أن يبقى وزيرا للدفاع فى مرحلة الرئيس القادم؟! نحن بحاجة إلى "السيسى" كقائد على رأس المؤسسة العسكرية يؤمن مرحلة الانتقال الديمقراطى، ويعيد الجيش إلى احترافيته. ما المانع أن يقوم الجيش بدوره فى الدفاع عن مدنية الدولة وديمقراطيتها لفترة محددة؟!

احذروا مسخرة التاريخ!

العبد لله: يا صديقى الشاب، أنا رجل عجوز مخضرم. عشت أيام النكسة والهزيمة، وأعرف جيدا خطورة أن ينازع قائد الجيش الرئيس صلاحياته. أنت تشير إلى وضع شبيه بدور الجيش التركى فى الدولة التركية الحديثة، وأنا أتذكر مأساة الدولة المصرية إبان قيادة المشير عبد الحكيم عامر للجيش المصرى. وقتها انفسد الجيش، وكاد عبد الناصر يتحول إلى طرطور. هناك فرق ياعزيزى الشاب بين (دولة المؤسسات) وبين دولة (مراكز القوى). لو بقى السيسى وزيرا للدفاع لأصبح مركزا للقوى شئت أم أبيت! صحيح أننى أفكر فى ترشيح السيسى رئيسا حتى الآن، وفى ضوء مواقفه السياسية المستقبلية سأحدد رأيى النهائى. ولكننى سأقف ضده بكل قوة لو استمر وزيرا للدفاع..التاريخ لا يعيد نفسه إلا فى صورة مسخرة!

صديقى: من الممكن أن يأتى الرئيس من السياسيين، أو من حتى العسكريين المتقاعدين! وفى الحالة الأخيرة سيصبح التناغم موجودا بين الرئيس والمؤسسة العسكرية..ألم تكن تقول إن انتخاب مرسى هو أقصر طريق للانقلاب العسكرى؟! ولعل مصر تحتاج إلى تلك النقلة الانتقالية قبل أن يحكمها رئيس مدنى، ليس له خلفية عسكرية.

العبد لله: أعرف ما تريد الإشارة إليه من طرف خفى! ياعزيزى..لقد خسرت قيادة المجلس العسكرى السابق أى تعاطف جماهيرى..تواطأت مع الإخوان منذ اللحظة الأولى لسقوط مبارك، واشترت الخروج الآمن بتسليم السلطة- تسليم مفتاح- إلى المرشد وصبيه.. لقد تم تعيينهم مستشارين للرئيس وحصلوا على القلادة، ولم يستقل أحد منهم إلا قبل ثورة يونيو بأيام!! لا تصدق تلك الترشيحات، إنما هى بالونات اختبار تفرقع فى الهواء!

ومرشحون محتملون!

صديقي: يبدو أنك نسيت رجلا آخر كان على رأس مؤسسة سيادية، وقاوم انحرافات مرسي منذ اللحظة الأولى. هذا الرجل قام الإخوان بالتخلص منه بعد أقل من شهرين من حكم مرسي!

العبد لله: متفق معك، إن تلك المؤسسة كانت الشوكة فى حلق الإخوان.. ولكن هل تستطيع تلك الشخصية الوصول إلى الناس؟! فرق كبير يا عزيزى بين رجل يقوم بواجبه الوظيفي والوطنى بحماية الأمن القومى للبلاد، وبين رجل آخر اخترق كل الحواجز، وتوجه إلى الشعب وحما إرادته. إنه الفرق بين العسكرى والسياسى، اختلاف كبير واضح!

صديقي: طوال عمرك أيها المخضرم تتحدث عن الديمقراطية ودولة المؤسسات الحديثة، وهأنت فى أول مفترق طرق تلجأ إلى (حكم العسكر)؟! ألا ترى مخاطر ذلك على الحياة الديمقراطية فى مصر؟! ألا يمكن أن يؤدى اختيار "السيسى" إلى ضعف آخر لأحزاب سياسية ضعيفة فى طور النشأة؟! اختيار "السيسى" قد يمثل نهاية لحلم الدولة الديمقراطية الحديثة فى مصر.

العبد لله: أتفق معك أن اختيار "السيسى" تكتنفه مخاطر، ولكن صياغة دستور يقلص من اختصاص الرئيس لصالح البرلمان ورئيس الوزراء يمثل جزءا من الحل. أيها الثائر الشاب، تذكر جيداً أن الديمقراطية مفهوم وثقافة وطريق حياة..ليست الديمقراطية فقط آليات صماء تعمل بمعزل عن الظروف المحيطة بها. فى مجتمع يسوده الفقر والجهل، سيأتى صندوق الانتخابات بالفاسد الأحمق رئيساً، لو أننا تعاملنا بالشوكة والسكينة مع واقعنا. صدقنى "السيسى" فرصة تاريخية لاستعادة المسيرة فى طريق التنمية الوطنية المستقلة. ألا تلاحظ أن الرجل قد لمس عصباً خفياً عند الناس البسطاء..بالله عليك، كيف يمكن أن نترك فرصة كهذه؟! فى مجتمعات متخلفة كمجتمعاتنا، يحتاج الشعب إلى زعامة كاريزمية تطلق طاقاته..ما الذى يمنع "السيسى" أن ينشئ حزبا سياسياً ويدخل إلى معترك الحياة السياسية؟!..لقد أضاع عبد الناصر تلك الفرصة بعد حرب ٥٦، لو أنه أعاد الحياة الحزبية وكون حزباً لاكتسح الانتخابات وجنب البلاد الشمولية!..لابد أن ندرك أنه حتى إن تقوى الأحزاب المدنية، لا وقت لدى الشعوب كى تضيعه..نعم هناك مخاطر، ولكن يمكن تطويقها ومعالجتها. أما (حكم العسكر)، فهو شعار لا علاقة له بالواقع المصرى.

لا ينظر المصريون إلى "عرابى" أو "عبد الناصر" كعسكريين، بل كزعيمين من أبنائهم.. السادات ومبارك كانا مستبدين، ولكن نظر إليهم المصريون فى إطار دولة بوليسية وليس كحكام عسكريين!

خطة "المؤسسة"!

صديقى: أنت كاتب وأستاذ جامعى بعيد عن الواقع، وأنا صحفى تحيطنى مصادر المعلومات من كل جانب..أعرف الأسرار وأغوص فى الأخبار!..سيجىء "السيسى" رئيساً ولكن بعد أن يقضى أحد السياسيين الآخرين المدة الرئاسية القادمة..هذا هو الاتفاق فى "المؤسسة" (establish ment)..تلك هى الترتيبات فلا تقلق!

العبد لله: ولا تريدنى أن أقلق! لو صح ذلك، فتلك مصيبة كبرى...(المؤسسة) معناها النخبة، وأغلبية النخبة حتى الآن مفلسة..أليست الديمقراطية تعنى حكم الشعب؟! والشعب قال كلمته وسيقولها..لو أن أحدا غير "السيسى" قد خاطب الشعب لينزل الشوارع ويعطيه تفويضا، هل كانت ستنزل تلك الملايين بقضها وقضيضها! هل تستطيع أن تشير لى على سياسى واحد يصلح كرجل دولة فى تلك المرحلة؟! أحدهم انكشف فى أول اختبار له كرجل دولة فآثر الانسحاب. وآخرون ممن دخلوا انتخابات الرئاسة السابقة، جاءت تصريحات أمين لجنة الانتخابات الرئاسية حاتم بجاتو فى حينها (جريدة الشروق فى ٢٨ يونيو ٢٠١٢م) ليكشف أن "لديه معلومات واتهامات موثقة لسبعة مرشحين رئاسيين بتلقى تمويل من الخارج ولكن البنك المركزى والأجهزة الرقابية الأخرى مقيدة بقوانين تمنعها من تتبع بعض التحويلات"! هل ترضى لبلدك رئيسا انكسرت عينه أمام نظام خارجى موّله فى يوم من الأيام؟! أما الباقى فلم (يُلَمِسوا) مع الناس..صديقى الصحفى الهمام! السياسى العُقر هو من يستمع إلى الناس، وهو من يأخذ كلامهم ويحوله إلى شعارات وبرامج سياسية.. بالمناسبة عندما خلع عبد الناصر بدلته العسكرية، أصبح رئيسا مدنيا. لم يعط المصريون حبا لحاكم وزعيم من قبله أو بعده، مثلما أعطوه. فى عهده حدثت خطايا وأخطاء، ولكن اعتبره الناس منهم. لم ينظروا إليه كعسكرى، بل إنه واجه قيادة الجيش مواجهة مريرة فى الفترة ما بين ١٩٦١ و١٩٦٧م..واستطاع إزاحة تدخل الجيش فى الحياة السياسية بشكل نهائى بعد الهزيمة. كان صراعاً فعليا بين السلطة المدنية (عبد الناصر) وسلطة العسكريين (عامر).

صديقى: رائع الحوار معك، والأروع أن تتحقق أحلامك

احتمالات أخرى

ويطـرح الكاتب "عبد الله السـناوى" نفس السـؤال لكن من زاويـة أخرى حيث قال تدفقـت الأسـئلة- أثناء لقائه مع دبلوماسـى أوربى- حول الرجل القـادم فى مصر على محدثيـه المصريـين: "من يحكم مصـر الآن؟" و"إلى أين هى ذاهبـة؟" و"من هو رجلها القادم؟"، وبجملة مقتضبة أقرب إلى الجزم السياسـى أجاب بنفسه على أسئلته: "أعتقد أنه هو"، لم يكن الدبلوماسـى الأوربى، وبلاده مطلعة على الملف المصرى وكواليسه، وهو يسـأل ويجيـب، مقتنعا أن أحدا غيره يملك مفاتيح السـلطة فى مصـر، أو يدير ملفاتها الحساسة، وبدا متأكدا أن رجلها القوى هو رئيسها القادم.

الإشـارة الدبلوماسية الأوربية فى توقيتها وسياقها انطوت على تهيؤ ما لانتقال الفريق أول"عبد الفتاح السيسـى" من "كوبرى القبة" حيث وزارة الدفاع إلى "الاتحادية" حيث رئاسـة الجمهورية، حيث يبدو "السيسـى" رجل اللحظة المصرية القلقة على مستقبلها، وبرغم أنه لا يتحمل مسئولية تنفيذية فى بنية الدولة تتجاوز مهامه كوزير دفاع، أو أدواره فى حفظ الأمن الداخلى والإشـراف على ملفاته، إلا أن السلطة التنفيذية بمعناها الواسع، التى تشـمل أجهزة الدولة العسـكرية والأمنية والبيروقراطية، تدين له بالولاء وتنظر إليه باعتبـاره الرجل القوى فى البلاد والقادم إلى رئاسـتها.. مـع ذلك فإن التوقعات لا تمضى بصورة سلسـة فى سـيناريو تتلاحق حلقاتـه واحدة إثر أخـرى إلى نهاياتها الافتراضية، فترشحه تزكية شعبيته لدى قطاعات واسعة فى الرأى العام المصرى وعدم ترشحه تقتضيه اعتبارات أخرى.. فى الترشح مشكلة وفى عدم الترشح مشكلة أخرى أكبر وأفدح.

سـؤال السـلطة طرح نفسـه من جديد بصيغ مختلفة بعد عزل "مرسـي" والاصطدام بجماعته، لم تكن خريطة الطريق التى أعلنها فى (٣) يوليو بحضور شيخ الأزهر وبابا الكنيسة المصرية ورموز شـبابية وسياسـية من بينها حزب "النور" السـلفى الحليف الاستراتيجى السابق لجماعة الإخوان المسلمين كافية بذاتها لحسم السؤال، وأفضت التصادمات وأزماتها التى توالت فى الشـوارع إلى طرح سـؤال الرئاسـة مبكرا قبل مواقيتها المنصوص عليها فى نهاية خريطة الطريق بعد اسـتحقاقى الاسـتفتاء على التعديلات الدستورية والانتخابات النيابية، وللقلق أسبابه فى طلب الأمن والاستقرار واستدعاء ترشيح "عبد الفتاح السيسى" لرئاسة الدولة.

فى البداية أعلن السيسى رفضه للفكرة كلها واستولت عليه فكرة أن يحفظ التاريخ صورته كـ "منقذ لا رئيس"، أو الرجل الذى أنقذ بلاده من احتراب أهلى ودولته من انهيار أمنها القومى، وأعاد تصحيح مسارها من جديد على خطى الدولة الديمقراطية الحديثة ولم يطلب رئاسة يمسك بمقاليدها عبر صناديق اقتراع نزيهة، ثم مانع فى الضغوط التى تزايدت عليه وأعلن رفضه الترشح للرئاسة مرة بعد أخرى بأقوال معلنة من بينها إن "شرف تنفيذ إرادة الشعب أكبر من شرف حكم مصر".

بإلحاح السؤال وصلت إجاباته إلى شىء من الضجر: "لن أترشح حتى لو خرجت الملايين إلى الشوارع وسدتها لأسبوع". العبارة منسوبة إليه ومصادرها مطلعة، والمتحدث العسكرى أكد المعنى مرارا وتكرارا، غير أن الأجواء بعدها اختلفت والأبواب المغلقة نزعت من عليها أقفالها وبدت مواربة لأول مرة أمام فكرة ترشحه الرئاسى بجملة أطلقها فى حوار مع صحيفة "المصرى اليوم": "الله غالب على أمره".

وهنا نقول: هل هى الاستجابة لأمر الوطن؟ أم إعادة للحسابات؟!

□□□